الأَديبْ و المُفَكِّرْ الرَّاحِل
رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَنْد
عودة إلى الماضي

الحلقة السادسة والخمسون

مقدمة البرنامج...

مؤثرات..

مساعد: "وكأنه يتابع حديثه" نعم.. أيها الناس.. لقد حرم الله الظلم على نفسه فلا تظالموا.. إنّ الظلم أيها الأخوة مرتعه وخيم.. بل إنّ في وسعي القول بأنّ كبرى رذائل الحضارات البشرية تتمثل في أخلاق الظلم بصورة خاصة على أية صورة ظهرت وبأي شكل من الأشكال تمثلت..

صالح: لكنّ استيعاب أنواع الظلم أمر عسير.. فكم من الناس يا أستاذ مساعد من يعتقد أنه مظلوم ويتصرف على أساس أنه مظلوم فإذا درست حالته بحياد تام ومنطق سليم تبين أنه ليس كذلك..

أحمد: وفي ضوء الملاحظة التي طرحها أخي صالح يمكن أن نقول لك يا أستاذ مساعد أنّ الناس لو أنصفوا غيرهم وانتصفوا من أنفسهم بالقدر الذي يتحدثون فيه عن حقوقهم لما كان هناك خوف من الظلم أبداً.

مساعد: لكن هذا الذي تقررانه هو أيضاً نوع من الظلم.

سالم: صدق أخي الأستاذ مساعد.. إنّ الناس حين لا ينصفون الناس من أنفسهم كما ينتصفون لأنفسهم من الناس يمثلون في الحقيقة قطاعاً كبيراً من الظلم في المجتمع..

صالح: لكن كيف نساعد الناس على الوقوف عند حدود العدل؟ هل هناك وسيلة عملية لذلك؟

أحمد: يبدو لي أن هناك ميزاناً دقيقاً توزن به الأعمال وتعرف به حدود العدل والظلم.

مساعد: أحسنت يا أخ أحمد.. ليت أنك تدلنا إلى هذا الميزان.

أحمد: الميزان هو في العمل بالقول المأثور: عامل الناس كما تحب أن يعاملوك. فما ترضى عنه لنفسك فلا ضير عليك في أن ترضى عنه لغيرك. إنها الحكمة الذهبية التي يتحدد بها الفرق بين الظلم والعدل.

سالم: هل تذكر قصة عبد الرحمن يا أستاذ مساعد؟

مساعد: أي عبد الرحمن تقصد؟

سالم: عبد الرحمن الحسين.

مساعد: آه.. صحيح لقد تذكرتها.. إنها صورة للمعنى الذي نحاول أن نسلط الضوء عليه.

صالح: هلا حدثتمانا حديثه؟

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

سالم: بكل سرور.. وقد كان ذلك صباح يوم من أيام العام 1390 هـ. كنت أنا وأخي الأستاذ مساعد في مكتب صديق لنا بعد عهدنا به وباعدت بيننا طبيعة اهتماماتنا.. نحن منصرفان إلى شؤون العلم والأدب وهو منصرف إلى شؤون العمل والتجارة..

نقلة موسيقية....

سليمان: صباح الخير يا عبد الرحمن.

عبد الرحمن: صباح الخير يا سيد سليمان.. خير إن شاء الله..

سليمان: " متردداً " في وسعي أن أؤجل الموضوع. لقد ظننت أنك وحيد في المكتب.

عبد الرحمن: لا بأس يا سليمان فالسيدان اخوان قريبان لا أخفي عنهما شيئاً. فقل ما حاجتك.

سليمان: إنها تتعلق بي شخصياً.

عبد الرحمن: وما الضير في ذلك؟ قل وأنا سامع.

سليمان: كنت راغباً في التحدث إليك بشأن الراتب.

عبد الرحمن: وما هو شأن الراتب؟

سليمان: ألا تعتقد أنني بعد هذه الخدمة الطويلة أستحق الحصول على زيادة فيه؟

عبد الرحمن: أما خدمتك الطويلة في العمل فهي جيدة ولا غبار عليها. وأما الراتب فأنت أعلم الناس بحقيقة الأمر.

سليمان: " بعد تردد قليل " يا أستاذ عبد الرحمن.. هل يتسع صدرك لكلام منطقي صريح؟

عبد الرحمن: بكل سرور.. قل يا سالم وأنا سامع.

سليمان: أنا أعترف بأنني التحقت بالخدمة عندك دون أن أكون حاملاً لأية شهادة جامعية لكنك وكلت إلي وظيفة هامة بعد اختبارك لي وتقديرك لنشاطي في العمل.

عبد الرحمن: كل هذا صحيح.

سليمان: إذا كان هذا صحيحاً.. وإذا كانت المقاييس الحقيقية لتقييم الموظفين هي في تعيين حجم الخدمات والعوائد الحقيقية لأعمالهم فإن من الطبيعي جداً أن أحصل على الحد الأدنى من الرواتب التي يحصل عليها أقل الموظفين كفاءة في الدائرة التي أعمل فيها..

عبد الرحمن: لكن الموظفين الآخرين التحقوا بالعمل بفضل شهاداتهم العالية.. أما أنت فلا تحمل شيئاً من ذلك.. إن راتبك راتب مقطوع. والنظام الداخلي في المؤسسة لا يطبق عليك.

سليمان: لكن الشهادة ليست هي التي تعمل.. إن الإنسان الذي يزود بها هو الحقيقي.. وهو وحده الذي تقدّر خدماته.

عبد الرحمن: ولماذا تنسى يا سليمان أنّ الادارة العامة قد أتاحت لك فرصة نادرة لإظهار مواهبك؟ أوَليست هذه خدمة كبيرة لك؟ وهل هناك راتب يعادلها؟

سليمان: لا تنسَ يا أستاذ عبد الرحمن أن الفرصة التي أعطيتها لم تكن مجانية بل كانت بسبب الكفاءة من ناحية وبسبب حاجة الإدارة العامة إلي.. وقد مضت سنوات دون أن أنبس بكلمة واحدة. أوَلا تكفي السنوات التي قضيتها في الخدمة

بمثل هذا الراتب الضئيل كافية لتسديد الدين؟ ثم قل لي يا أستاذ عبد الرحمن: هل كانت الإدارة العامة توكل إلي القيام بمثل هذا العمل الهام لو لم تكن لي الكفاءة والفعالية الضروريتان؟

عبد الرحمن: ومع ذلك.. فإن الإدارة غير مستعدة لتعديل راتبك.. يؤسفني يا سليمان أن أرد طلبك.

سليمان: أهذه هي الكلمة الأخيرة؟

عبد الرحمن: نعم.. وإنني أعتقد أنك ما تزال محظوظاً حين تحتفظ بوظيفتك الراهنة وراتبك.

سليمان: " بعد تفكير قليل: شكراً لك.. هل تسمح لي بالانسحاب؟

عبد الرحمن: في وسعك أن تنسحب.

نقلة.....

مساعد: أتعلم يا عبد الرحمن أن ما سمعته قبل قليل هو أغرب حوار يجري بين شخصين.

سالم: ولا أخفي عليك يا عبد الرحمن أنك قلت كلاماً لا يتفق مع أبسط الموازين المنطقية.

عبد الرحمن: وأين الغرابة يا مساعد؟ أوَليس أن العمل يقوم على قاعدة العرض والطلب؟

مساعد: بلى.. هذا صحيح.. لكن القاعدة هذه يجب أن تستند إلى أبسط مبادىء العدالة.

سالم: ثم قل لي يا عبد الرحمن: ألا يجوز أن يجد هذا الموظف وظيفة في مؤسسة أخرى غير مؤسستكم؟

عبد الرحمن: أولاً نحن لا نرغم أي إنسان على العمل عندنا. إن في وسعه أن يضع حياته كما يشاء..ثانياً: نحن لا نتوقع استقالة سالم لسبب بسيط هو أن كل الإدارات اليوم تشترط لكل مرشح الجواز الأساسي الذي هو الشهادة الجامعية.. وسالم لا يحمل هذه الشهادة.

مساعد: لكن هذا ظلم في ذاته.. والظلم قد يدفع سالماً إلى إهمال عمله والإضرار بكم.

عبد الرحمن: الظلم يا أستاذ مساعد قضية نسبية.. يجب أن يحمد سليمان العناية الإلهية التي هيأت له فرصة العمل عندنا دون إجازة رسمية، ولولا هذه الفرصة لبقي حتى اليوم عاطلاً عن العمل أو في مكان منسي.

سالم: هل تريد رأينا صريحاً يا عبد الرحمن؟

عبد الرحمن: بكل سرور..

سالم: إذاً فاعلم أن سلوكك هذا هو صورة لأسوأ نوع من أنواع الظلم.. وأؤكد لك أنك ستدفع عن هذا الظلم عاجلاً أو آجلاً..

عبد الرحمن: لكل منا وجهة نظره يا أستاذ سالم..

نقلة موسيقية.....

صالح: إنها قصة غريبة حقاً..

أحمد: بل هي رمز لأسوأ أنواع الانتهازية التي تستغل بها الفرص ويضار بها الضعفاء الذين لا تساعدهم ظروفهم على انتزاع حقوقهم المشروعة.

صالح: لكن يبدو لي في الوقت نفسه أنّ المدعو عبد الرحمن هذا رجل يتّصف بقصر النظر إلى جانب الطمع.

مساعد: والطمع يا صالح هو عادة من وراء قصر النظر.

أحمد: ويخيل إلي أن مآسي البشرية منذ كان بشر حتى اليوم نابعة من هذا الظلم الغبي.

سالم: صدقت يا أحمد ولعل ما جرى بين قابيل وهابيل ابني آدم عليه السلام هو أول تعبير عن الطمع الذي يتبعه ظلم كافر بنعم الله متصف بالغباء وقصر النظر.

صالح: ليت أن المحاورات التي تنظم واللقاءات التي تنعقد تكون منذ اليوم مناسبات لتسليط الضوء على أنواع الظلم والظالمين.

أحمد: وكم أعجبني القول الكريم الذي ضمنته حديثك يا أستاذ مساعد حين قلت: إن الله حرم الظلم على نفسه فلا تظالموا.. فهذا يعني أن الظلم هو أخطر ما تتعرض له البشرية من أنواع البلاء.

سالم: يكفي أن تعرفا حقيقة أساسية في الإسلام هي أن أخلاق التعامل التي جاء بها هذا الدين العظيم ليست حكراً للمسلمين ولا وقفاً عليهم.. إن الظلم والعدل والعدوان والحقوق على اختلافها والواجبات على صعيد التعامل بين البشر هي معان تخضع لموازين شاملة يتساوى بها كل الناس بغض النظر عن الدين الذي يدينون به.

مساعد: بل هناك ما هو أخطر من ذلك.. إنّ العدالة مطلوبة من المسلم في كل موقف حتى مع أشد الأعداء.. يتضح هذا في قول الله عز وجل: " وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ".. إنّ هذا النص القرآني يقف فوق أعلى قمة من قيم الالتزام الخلقي الرفيع مما لا سبيل معه إلى تفجير أحقاد المظلومين.. إذ بمثل هذه الأخلاق ينتفي الظلم وينتفي وجود المظلومين في دنيا الناس.

صالح: حسن.. في ضوء ما سمعناه أكرر طلبي في العودة إلى مناقشة هذا الموضوع.

أحمد: ولعل تسليط المزيد من الضوء عليه أن يساعد الناس على فهم الأبعاد الحقيقية لمعنى العودة إلى الماضي إن شاء الله..

موسيقى نهاية.....